مقدمـــــــــة

لقاء يوسف بأخيه بنيامين وأسمى معاني الأخوة

المشهد الرئيسي:

لقاء يوسف عليه السلام بأخيه الشقيق بنيامين بعد فراق طويل، والذي يمثل قمة المشاعر الأخوية، حيث تجسدت فيه كل معاني الشوق واللهفة التي تراكمت عبر سنوات من الألم والانتظار.

حكمة يوسف:

خطط بحكمة بالغة للاختلاء بأخيه بعيدًا عن بقية إخوته، لم يكن هدفه مجرد كشف هويته، بل كان يدرك حاجة أخيه الماسة إلى لحظة صدق يعيد فيها بناء جسور الثقة ويمنحه الأمان الذي افتقده في بيئة مشحونة بالغيرة.

قوة الكلمة:

قوله ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ لم تكن مجرد جملة عابرة، بل كانت بلسمًا شافيًا لجراح القلب، وإعلانًا صريحًا بعودة السند والحماية.
كانت هذه الكلمات بمثابة عناق يطوي سنين الغياب ويعيد الأمل إلى نفسٍ أنهكها الفقد.

قيمة الأخوة في القرآن:

يبرز القرآن قيمة الأخوة القائمة على الرحمة والمحبة والمواساة، ويعرضها كأحد أثمن الروابط الإنسانية، كما في قصة أخت موسى التي تبعته بعينها خوفًا عليه، وهارون الذي كان عضدًا وسندًا لموسى في أصعب المواقف.

الدرس الأساسي:

أهمية احتواء من نحب، والتعبير الصادق عن مشاعرنا، وأن نكون سندًا حقيقيًا وأمانًا لمن حولنا، فكلمة طيبة في وقتها قد تحيـي قلبًا.

١ جفاء الأخوة في الواقع المعاصر

مقارنة مؤلمة:

بين دفء أخوة يوسف والجفاء السائد في كثير من البيوت اليوم، حيث تحولت العلاقات الأخوية، التي من المفترض أن تكون حصنًا، إلى ساحات من الغيرة والخصام والمنافسة على أتفه الأسباب، وأصبح الصمت سيد الموقف.

ألم الوحدة:

الشعور القاتل بالحاجة إلى سند الأخ في وقت الشدة، والبحث عن كتفٍ تتكئ عليه فلا تجده، مما يضاعف من وطأة الألم ويجعل الإنسان غريبًا في بيته.

أثر الكلمة الطيبة:

قول يوسف لأخيه ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ كان بمثابة حياة جديدة تُسكب في قلب منهك. إنها رسالة بأن الحزن سينجلي بوجود السند، وأن الهموم تهون حين يشاركنا فيها من نحب.

قيمة الحضور الصامت:

أحيانًا يكون وجود الأخ ومواساته الصامتة أبلغ من ألف كلمة. مجرد الجلوس بجانب أخيك المتألم، أو التربيت على كتفه، قد يمنحه من القوة ما لا تمنحه الخطب والمواعظ.

الأخوة في الصداقة:

نتيجة لهذا الجفاء، أصبح الكثيرون يجدون في الصديق الوفي أخوة لم يجدوها في أخيهم من النسب، فيصبح الصديق هو الملجأ والملاذ.

حقيقة الأخوة:

هي نعمة إلهية ثمينة تُقاس بالمواقف والمشاعر الصادقة والتضحيات، لا بمجرد قرابة الدم.

٢ علامات الأخوة الصادقة: حين يحزن قلبك لحزني

الحب في الله:

هو أسمى درجات الأخوة، حب نقي لا يبتغي مصلحة دنيوية، جزاؤه أن يحب الله المتحابين فيه، كما في قصة الرجل الذي زار أخاه في الله فأخبره الملك أن الله يحبه لحبه لأخيه.

الفرح لنجاح أخيك:

أن تفرح لرزقه ونجاحه بقلبٍ صافٍ، وأن تدعو له بالبركة دون ذرة حسد أو غل، وهذا من كمال الإيمان وصدق المحبة.

الحزن لحزنه:

المشاركة في الشدائد والحزن هي المحك الحقيقي للأخوة، فالجميع يحضر في الأفراح، لكن لا يثبت في الأتراح إلا الصادقون.

الإيثار:

أن تقدم مصلحة أخيك على مصلحتك، ومن أروع أمثلته:

١ **حكيم بن حزام:** الذي لم يتردد لحظة في تحمل نصف دين الزبير بن العوام (ألف ألف)، في موقف يجسد قمة النبل والكرم.

٢ **صديق شبرمة:** الذي بلغ به الإيثار أن يحرم بالحج عن صديقه "شبرمة" قبل أن يحج عن نفسه، حبًا ووفاءً له.

ستر العيوب:

الأخ الصادق هو حصنك المنيع، يستر عيبك، ويحفظ سرك، ولا يستخدم زلاتك سلاحًا ضدك يومًا ما.

التسامح والتغافل:

عدم الوقوف عند كل خطأ، والتجاوز عن الزلات من باب المحبة. فمن يقسو على أخيه ويتساهل مع الغرباء لم يفقه معنى الأخوة بعد.

عدم الهجر:

المبادرة بالصلح وعدم الهجر فوق ثلاث ليالٍ، كما فعل أبو بكر الصديق حين سارع ليطلب الصفح من بلال وصهيب خوفًا من غضب الله، فكانت المغفرة والتسامح هي الرد.

الخلاصة:

لا تبحث عن أخٍ كاملٍ بلا عيب، فذلك محال، بل ابحث عن قلب صادق يحبك رغم عيوبك، ويعينك على طاعة الله، ويكون لك رفيقًا إلى الجنة.

٣ التدبيـــر الإلهـــي في قصة يوسف مع إخوتـــه

الحكمة من إبقاء بنيامين:

لم يكن الهدف إيذاء يعقوب، بل كان ذلك بأمر إلهي لرفع درجاته بالصبر، وهي سنة الله في امتحان الأنبياء ليزدادوا أجرًا وقربًا.

خطة السقاية:

وضع "السقاية" (وعاء الكيل) في رحل بنيامين كان جزءًا من التدبير الإلهي المحكم الذي هيأ الأسباب لتحقيق غاية أعظم.

تطبيق الشريعة الصحيحة:

كانت العقوبة (أن يصبح السارق عبدًا لمن سُرق منه) وفقًا لشريعة إبراهيم التي يتبعونها، وليس شريعة أهل مصر، وهذا ما جعل الخطة ممكنة التنفيذ.

الإعجاز اللغوي لتجنب الكذب:

١. استخدام عبارات عامة ومحتملة مثل ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾، والتي قد تشير إلى سرقتهم ليوسف قديمًا، مما يخرج يوسف من دائرة الكذب.

٢. طرح أسئلة دقيقة مثل ﴿مَاذَا تَفْقِدُونَ؟﴾ بدلًا من "ماذا سُرق؟" لتجنب الاتهام المباشر.

٣. استخدام النفي العام من قبل الإخوة ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾، دون التطرق للصواع تحديدًا.

٤. إصدار الحكم على "من وُجد الصواع في رحله" دون تسميته "سارقًا"، مما يجعل الحكم مبنيًا على فعلهم هم.

الكيد الرباني:

هذا التدبير الإلهي ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ هو تخطيط محكم من الله مكن يوسف من تحقيق مقصده دون مخالفة للشرع أو نطق بالكذب.

٤ الحسد المستمر وصبر يوسف عليه السلام

استمرار الحقد:

بمجرد اتهام بنيامين، سارع الإخوة لاتهام يوسف أيضًا ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾، مما يكشف أن نار الحسد لم تنطفئ في قلوبهم رغم مرور السنين.

نهاية الحسد:

لا يزول الحسد إلا بالاعتراف بأن الفضل من الله، كما فعلوا لاحقًا حين قالوا بيقين: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾.

صبر يوسف وضبط نفسه:

لم يرد على اتهامهم الباطل بانفعال وغضب، بل كظم غيظه ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾، وهذا قمة الحكمة والثقة بالله.

الروايات الإسرائيلية:

ما نُقل عن سرقة يوسف في صغره هي روايات غير موثوقة، والدرس الأهم هو صبره وثباته أمام الاتهامات الباطلة.

الرفعة من الله:

رفعة يوسف كانت بمشيئة الله وحده ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾، فهو الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء.

الخلاصة:

لا رفعة حقيقية إلا برضا الله، والحسد لا يجلب لصاحبه إلا الشقاء، بينما التوبة والاعتراف هما طريق الشفاء والراحة.